# برنامج (أخلاق اجتماعية)

الدكتور محمد خير الشعال

http://dr-shaal.com

## الحلقة السابعة والعشرون:
## الغلو في الحب والكره

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين أرحّب بكم -أيها الإخوة المستمعون- في برنامجكم "أخلاق اجتماعية"، نتدارس فيه بعض الأخلاق الاجتماعية، الإيجابية منها والسلبية، لنبيّن حَسَنَها، ونحذّر من قبيحها وسيئها.

- اشتركا في عملٍ صناعي خمساً وعشرين سنة، تقاسما خلالها الحلوَ والمرَّ، أحبا بعضَهما محبة كبيرة ولشدَّة محبتهما لبعضهما زوَّج أحدهما ابنته لابن شريكه، ثم حصلت بينهما خصومة تحدث عادة بين الناس، غير أنه لشدة محبته لصاحبه لم يحتمل وقوعها منه، فكان أن قاطعه قطيعةً قاسيةً، أنهى خلالها شراكتَهما القديمة، وترك ارتياد الأماكن التي يرتادُها صديقُه، ولم يرضَ صلحاً معه، وآخرُ ما أودت به القطيعة أن طلب من ابنه طلاق ابنة الشريك القديم وإلا غضب عليه. إنّه غلو في الحب والكره، وخير الأمور الوسط.
- شكت امرأةٌ زوجها في خصومة إلى أحد العلماء، وعرضت ما يزعجها منه، وعَدَّدت نقائصه، سألها العالم: هل يمكن أن تذكري لنا بعض محاسنه؟ فأجابت: لا توجد له حسنات. إنّه غلو في الكره، وخير الأمور الأوسط.

قال رسول الله ﷺ: **«أُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»**، قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: **«بِكُفْرِهِنَّ»**، قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟، قَالَ: **«يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ** -الزوج-، **وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا** –يعني تكرهه-، **قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»** [رواه البخاري ومسلم].

- التزم خالدٌ في واحد من مساجد البلدة، وأحبَّ شيخه وإخوانه محبةً شديدةً، وتعلق بهم أيّما تعلق، لأنَّ الله جعل هدايته على أيديهم، غير أنه لإفراطه في الحب كان يعتقد أن مَنْ لم يلزم هذا الشيخ لم يعرف الإيمان بعد، وأن مَنْ لم يحْضر في هذا المسجد لا يصح إسلامُه. إنّه الغلو في الحب والكره، وخير الأمور الوسط.

- الأمة لا يقوم إلا باتباع هذا الحزب وقيادتِه، وأنَّ كلَّ من لا ينضوي تحت ما انضوى هو تحتَه ولا يعتقد اعتقاده، فهو خائن للأمة مخربٌ للبلد مأجور لأعدائه. إنّه الغلو في الحب والكره، وخير الأمور الوسط.

- أحب شابٌ فريقاً من الفرق المحلية لكرة القدم، بينما أحب أخوه فريقاً آخر، وفي موسمٍ من المواسم الرياضية تقابل الفريقان، وراح كل أخٍ يشجع فريقه، ولما فاز أحد الفريقين على الآخر، تعارك الأخوان بالأيدي والأرجل.

إنّه الغلو في الحب والكره، وخير الأمور الوسط.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا . . . ﴾ [البقرة:143].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:8-9].

عَنْ علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ –ويروى موقوفاً- قَالَ: **«أحبب حبيبك هوناً مَا، عسى أن يكونَ بَغِيضَكَ يوماً مَا، وأبْغِضْ بغيضَك هَوناً مَا عسى أن يكونَ حبيبَك يوماً مَا»** [رواه الترمذي].

وعن عمر بن الخطاب ▲ قال: **"يا أسلم، لا يكن حبك كَلَفاً، ولا بغضك تلفاً"**، قال: قلت: وكيف ذاك؟، قال: **"إذا أحببت فلا تكلف كما يكلف الصبي بالشيء يحبه، وإذا أبغضت فلا تبغض بغضاً تحب أن تتلف صاحبك أو تهلك"** [رواه البيهقي في شعب الإيمان].

وروى البيهقي في شعب الإيمان بإسناده عن مُطَرِّف، قال: **"خير الأمور أوساطها"**.

قرأتُ في كتاب يتحدث عن الأخلاق الاجتماعية حديثاً ألقاه واحد من أساتذة كلية الشريعة على أثير إذاعة دمشق سنة 1954م، تكلم فيه عن المغالاة في الحب والكره عند الناس، ووجدت فيه فائدةً فأحببت أن أطلعكم على ما جاء فيه.

يقول المؤلف:

(ما أعجب شأنَنا في الحياة... نعلم أن بقاءنا فيها محدود وإقامتنا فيها منصرمة، ومع ذلك فإننا لنغرق في الأمل حتى لكأن الخلود من لوازم الحياة، ونسترسل في الطمع حتى لكأن الدنيا قد كتب لها البقاء...

نحب الشيء فنفرط في الثناء عليه والتعلق به حتى لكأنه الحلو الذي لا مرارة فيه، ونكره الشيء فنفرط في النَفرة منه والتشهير به حتى لكأنه المرُّ الذي لا حلاوة معه.

ونعتقدُ الأمر فنتعصبُ له حتى لكأنه الحقُ الذي لا باطل يأتيه، وننكر الفكرة فنحملُ عليها حتى لكأنها الباطلُ الذي لا أثر للصدق فيه.

ذلك هو الإفراط في كل شيء... يقلب الحقائق، ويجانب الصواب، ويوقع المشكلات، ويقطع الأواصر، ويجلب العداوة والبغضاء.

إنك لا تستطيع حين تدرسُ أوضاعنا الاجتماعية إلا أن تذهب إلى أن من أكبر أسباب الفوضى والاضطراب بُعدَنا عن الاعتدال فيما نحب ونكره، ونؤيد ونعارض، ونعمل وندع...

- فهذا عالم يغالي أشياعُه فيزعمون أنه يملأ طباق الأرض علماً حتى ليحيطَ علمه بكل شيء، ويغالي شائنوه فيزعمون أنه الجاهل الذي أحاط جهله فهو البليد الذي لا يُحِس والغبي الذي لا يفهم.

- وهذا زعيم يغالي في أناس حتى ليجعلونه في مصاف الملائكة: لا عيب، ولا وزر، ولا نقيصة، ولا خطيئة، ويغالي آخرون، حتى ليهبطون به إلى مستوى الشياطين: لا فضلَ، ولا مأثرة، ولا إخلاص، ولا كفاءة.

ينتصر له المحبون حتى في الباطل والأذى، ويحاربه المبغضون حتى في الحق والفضيلة.

- وهذا مصلح، يزعم المعجبون به أنه فوق الأهواء والشهوات، ويراه المبغضون أنه أناني لا يعمل لغير نفسه، مادي لا يسعى إلا لأهوائه وشهواته.

- وهذا حزب، يزعم أنصاره أنه الطريق الوحيد لمجد الأمة، بينما يزعم خصومه أنه طريق الفوضى والشر.

وهكذا تضيع مبادئُ الإصلاح، وقيم العلماء، وكرامات المخلصين، وجهود المصلحين، في غمار هذه العداوات المشتجرة، التي جعل فيها الإفراط في البغض أو الحب مقابر للمروءات والكرامات.

إن الاعتدال في كل أمرٍ هو ملاك الخير كلِه، ولذلك جاء الإسلام بالنهي عن المغالاة في كلِّ شيء.

نهانا عن المغالاة في رسل الله حتى نزعمَ لهم صفاتِ الألوهية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران:144].

ونهانا عن الغلو في العبادة حتى ينقطعَ صاحبها عن الحياة ويُرْهِقَ نفسه في السهر والعبادة، قال رسول الله ﷺ: **«إن لنفسك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، ولضيفك عليك حقاً، وإنَّ لأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه»** [رواه الترمذي].

ونهانا عن الإفراط في النفقة أو التفريط فيها: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء:29].

ونهانا عن اتباع الهوى في معاملتنا للناس، فلا نميل مع صديق ولا نجور مع عدو: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:8].

أورد ابن كثير عند تفسير هذه الآية قال:

"ومن هذا القبيل قولُ عبد الله بن رواحة، لما بعثه النبي ﷺ يَخْرُص على أهل خيبر ثمارهم وزرعهم، وذلك أنَّ النبي ﷺ عندما فتح خيبر، وتغلّب على أهلها من اليهود، عاملهم على أن يظلوا في أراضيهم يعملون بها، ولهم نصف ما تنتج الأرض، ويعطونه النصف، يرسل لهم كل عامٍ من يَخْرُص الثمار قبل قِطَافها، فأرسل إليهم عبد الله بن رواحة للخرص.

فأرادوا أن يُرْشُوه ليرفقِ بهم، وقدموا له حلي نسائهم وأطفالهم، فقال لهم قولةً في العدل والاعتدال: **"تعلمون يا بني يهود، والله لقد جئتكم من عندِ أحب الخلق إليَّ، ولأنتم أبغض إليَّ**

**من أعدادكم من القردة والخنازير، وما يحملني حُبي إياه وبغضي لكم على ألا أعدل فيكم"**.
فقالوا: **بهذا قامت السماوات والأرض**.

هذه هي روح الشريعة، اعتدالٌ في كل شيءٍ ووسط في كل أمرٍ، وبذلك سمانا الله تعالى أمة وسطاً)

أنشد بعض الأدباء يقول:

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاةٌ فلا تركب ذلولاً ولا صعباً

وأنشد غيره:

فرط التناهي غلط خير الأمور الوسط

الاعتدال فيما نحب ونكره، والتثبت مما نقبل ونرفض، والتأني فيمن نصادق ونجافي، هو سبيل الخُلقِ الكريمِ، وخطة التعامل الحكيم، وطريقُ الأمة الواعية التي تأخذ بقَدْر، وتعطي بقَدْر، وتؤيد بقَدْر، وتعارض بقَدْر.

هذا ما في جعبتي من الحديث عن الغلو في الحب والكره، أسأل الله تعالى أن ينفعني وإياكم بما سمعتم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته